سينما

اختبارٌ بصري عن ألم واختناق

أرض الانتقام

في «أرض الانتقام»، يروي الجزائري أنيس جعاد حكاية ألمٍ وقهرٍ وغضب، ومحاولة عيشٍ هادئ، وشعوراً طاغياً في الثأر وإنْ من دون نتيجة تُذكر

نديم جرجوره

منذ خروجه من السجن، بعد ثلاثة أعوام يُمضيها فيه بتهمة تُعرف لاحقاً (التستّر على شخصية فاسدة)، يبحث جمال (سمير الحكيم) عن لحظة صفاءٍ تُنقذه من غضب وتوتّر وقهر، خاصةً بعد اكتشافه أنّ زوجتَه مريم (مريم مجقان) غير موجودةٍ في المنزل العائلي، الذي تتركه بُعيد سجنه، والمُباع حينها. تدريجياً، ينفتح الجحيم عليه، ببطءٍ يُرافق إيقاعاً هادئاً في سرد حكاية ومعاينة حالة. وحدها شقيقته (زهرة فايضي) تستقبله بترحاب يليق بالإخوّة الفعلية، محاولةً التخفيف عنه قدر الإمكان. أيامٌ تمرّ وهو مُقيم عندها، مُكتشفاً بعض المخفيّ في يوميات عائلة لا أب لها، كأنّه يتعرّف إليها راهناً. في يوم، يُقرّر المغادرة إلى منزل له/ للعائلة، مُغلَقٍ منذ سنين، في بلدته الريفية. بكثير من تبسيطٍ بصريّ، غير لاغٍ براعة الصورة (مدير التصوير: حمودي لعقون) في التقاط نَفَسٍ وانفعالٍ في ذات جمال، يُقدّم الجزائري أنيس جعاد «أرض الانتقام» (2024)، مُوحياً، في الدقائق الأولى على الأقلّ، بأنّ المخفيّ في حياة جمال سيندثر، وأنّ السابق على خروجه من السجن منتهٍ، وأنّ الانتقال إلى الريف بداية حقبة أفضل وأهدأ. إيحاءٌ يُتقن سمير الحكيم، الفائز (بفضل جمال) بجائزة أفضل ممثل في الدورة الـ12 (4 ـ 10 نوفمبر/تشرين الثاني 2024) لـ«مهرجان وهران الدولي للفيلم العربي»، بثّه على شاشةٍ، سترافقه في رحلة خلاص منشود، رغم مطبّات قاهرة، وتحدّيات تكشّف خراباً في أفرادٍ وبيئةٍ.

لقطات أولى (جمال واقفاً أمام حائط، يدخّن بشراهة، وينظر إلى لا شيء، وشابٌ سيكون سائق باصٍ ينتظر ركّابه موعد انطلاقه، والأفق أقربُ إلى الرماديّ، وشبه الصمت لغة أعمق وأصدق) تصنع مدخلاً جميلاً إلى فيلم ينسج حبكته ببساطةٍ، غير حاجبةٍ وجعاً وانكساراً، لعلّهما غير محرّضيْن على انتقام، لكنّ الحاصل بعد أنْ يستقلّ جمال الباصَ، الذي يُقلّه إلى حيث يُفترض بعائلته أنْ تُقيم، يكشف أنّ للانتقام ملامح تنكشف رويداً، من دون معرفة ما سيؤول إليه ذاك المسار الذي لا حدّ له ولا قيد.

تساهم كاميرا لعقون في تمتين أرضية بصرية لسرد حكاية ومعاينة حالة، باشتغال على لقطات بعيدة وطويلة نسبياً، من دون أنْ تتجاوز ثواني عدّة، لكنّ الإحساس بطول مدّتها منبثقٌ من حُسن جعلها عاملاً ضاغطاً يُثير شعوراً بقلق وألم؛ وعلى كادرات ثابتة، يُشبه بعضها لوحات تشكيلية بألوان يطغى عليها الرماديّ، خاصةً تلك المتعلّقة بالطبيعة، وبامتدادها المُعاكِس لضيق حياة وعلاقات، أو لما فيها من خشونةٍ وقسوة غير مرئيتين لحظة التقاطها، كانعكاس لضيق أفق كذلك. رغم هذا، هناك لحظات تكون الإطالة فيها غير مُفيدة درامياً، إذْ تُصبح تكراراً لا غير، خاصة في حواراتٍ بين شخصين أو أكثر.

> بلدة ريفية توحي بأمان وسكينة لكنّ الخراب كبير وكثيف

في بلدته الريفية، التي يُظنّ أنّها ستمنحه سكينةً وسلاماً، يُبرهن الجحيم أنّ له تمدّداً جغرافياً، مستفيداً من ثنائية متناقضة في أصل الطبيعة (والطبيعة البشرية أيضاً): جمال وهناء ورغد عيش، وعنفٌ وغضبٌ وتحطيم. في «أرض الانتقام» (للعنوان إشارةٌ إلى ما في الطبيعة/الأرض من قدرة على التحريض على الانتقام/الثأر، إنْ يتمكّن المرء من تحقيق ذلك، فليس مؤكّداً أنّه سيبلغ بعده لحظة أمانٍ منشود)، أي في تلك البلدة الريفية بمؤسّساتها وعلاقات ناسها والمخبّأ أحياناً بين جدران منازل أو في أعماق أفراد، يكتشف جمال أنّ الخراب منفلشٌ في أمكنةٍ كثيرة (مادية وروحية)، وأنّ رغبته في اغتسال وتطهّر ستتعطّل، لما في نفوسٍ عدّة من انهيار وعفن.

محمد (محمد موفق)، قريبٌ من أقاربه، سيكون أول مستقبل له في البلدة. علاقة تتجدّد، ومشروعٌ لجمال (استثمار أرضٍ للزراعة) يوافق محمد على مساعدته في تحقيقه. لكنّ معاملات إدارية تتأخّر أولاً، فالموظف قادة (محمد تاكيرات) محتالٌ، أو ربما متواطئ في عدم منح الموافقة الرسمية، قبل انكشافٍ لاحقٍ لحجم الاهتراء المحيط بجمال (لا مياه جوفية في الأرض، رغم تأكيدات عدّة على وجودها). تفاصيل كثيرة تواكب سرداً (سيناريو أنيس جعاد)، ينفتح على خفايا نفس بشرية، لن تُفيد إطلالة العمّ العجوز (رشيد بن علال) فجأة في تخفيف حدّتها (الخفايا)، أو في تحليل مساراتها كفاية. من فساد مديرٍ سابق له (شوقي عماري)، يؤدّي إلى مُصاب لن يُشفى جمال منه كلّياً، إلى فسادٍ من نوعٍ آخر يُمارسه مدير قادة (حميد كريم) من وراء ستارٍ غير مرئي، لكنّه كفيلٌ بإضافة مزيدٍ من تعب في ذات العائد إلى بلدته وروحه. كلّ الحاصل في البلدة نتاجُ انغماسٍ في مصالح ذاتية، أو علاقات آنية متأتّية من ماضٍ، حضوره طاغٍ في راهنٍ غير سوي. أداء سمير الحكيم يُساعد على تبيان الهوّة السحيقة في روح جمال ونَفْسِه، وعلى فضح تدريجي لمحيطين به. لكنْ، هل يتمكّن جمالٌ من تحقيق ما يبغيه، وما يبغيه متعدّد الأنماط، كأنْ يسعى بجدّية إلى خلاص من بشاعة ماضٍ، فيصدمه راهنٌ غارقٌ في بشاعة وخراب يختبئان في طبيعةٍ «هادئة»؟ أو كأنْ يرى في الانتقام سبيلاً إلى ارتياح داخليّ، وإنْ يعجز عن ذلك، أو هكذا يظهر على الأقلّ، وهذا أفضل سينمائياً؟ أمْ أنّ المسألة برمّتها غير معنية بهذا كلّه، بل بكيفية القيام برحلةٍ فردية في عالمٍ خانقٍ، بمسار حادّ لها في منعرجاتٍ قاسيةٍ؟

سمير الحكيم في «ارض الانتقام»: اي طريق يقود نفسَه فيها؟ (الملف الصحافي)

«رقصة فاخرة»: فيلم ضد العنصرية الأميركية

محمد صبحي

لا تريد روكي (إيزابيل ديروي ـ أولسون)، ابنة الـ13 عاماً، شيئاً أكثر من المشاركة في رقصة الأمّ والابنة مع والدتها تاوي، في «مهرجان باو واو» الكبير المقبل، في مدينة أوكلاهوما. في العام الماضي، سيطرت الاثنتان على هذه المنافسة، كما تُخبر خالتها جاكس (ليلي غلادستون) بابتسامة. لكن «الرقصة الفاخرة (Fancy Dance)» للاثنتين، وهذا عنوان الفيلم المستقلّ (2023) لإيريكا ترامبلاي، تواجه خطر ألا تحدث، لأنّ تاوي مفقودة منذ أسبوعين، وتعيش روكي مع جاكس في منزل الأخيرة، في محمية سينيكا ـ كايوغا للسكّان الأصليين. سريعاً، يزور موفدٌ من مكتب رعاية الشباب منزل جاكس بسبب اختفاء أختها، التي يبحث عنها المجتمع الأصلي بشكل مكثّف، ويأخذ ابنة أختها بعيداً عنها. سبب ذلك إدانات سابقة لجاكس بالمخدّرات. تضع السلطات الهندية لحماية الأطفال ورعايتهم روكي تحت وصاية جدّها الأبيض المنفصل فرانك (شيا واغِن)، الذي لا تعرفه إطلاقاً، والذي غادر المحمية منذ سنوات، بعد وقتٍ قصير على وفاة زوجته الأصلية، والدة تاوي وجاكس. السلطات، التي لا تتردّد لحظةً عندما يتعلّق الأمر بانتزاع طفل أصلي من عائلته، لا تهتم أبداً بالبحث عن الأمّ المفقودة.

> أم وابنتها في عالم السكّان الأصليين بتناقضاته كلّها

لا يوجد في أي مجموعة سكّانية أخرى في الولايات المتحدة وكندا عددٌ مماثل من النساء المفقودات والمقتولات، كحال المجتمعات الأصلية، ما أدّى إلى تأسيس حركة MMIW (نساء وفتيات السكّان الأصليين المفقودات والمقتولات). في فيلمها الروائي الطويل الأول هذا، تقدّم إيريكا ترامبلاي، المقيمة في نيويورك، وابنة شعب سينيكا ـ كايوغا، نظرة حميمة على حياة النساء الأصليات في «ريز» (اسم المحمية في الفيلم) التي لم تُعرض سابقاً على جمهور عريض. في النهاية، تهرب جاكس مع ابنة أختها، التي تلتقطها ليلاً من منزل والديها في إحدى ضواحي الطبقة المتوسطة، وتنطلق معها إلى «مهرجان باو واو»، على أمل لقاء أختها هناك. في الوقت نفسه، تبحث هي وشقيقها جيه جيه (ريان بِغاي)، شرطي القرية، عن مكان وجود تاوي، التي تعمل راقصة وتبيع المخدرات في معسكر لعمّال النفط.

تحصل جاكس وروكي، كامرأتين قويتين، على ما تحتاجان إليه للبقاء على قيد الحياة بجرأة كبيرة. تسرقان سيارات وبنزينا من محطة الوقود، وتقتحمان فيلا معروضة للبيع، للاختباء من رجال الشرطة وعملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي، الذين يطاردون جاكس بتهمة اختطاف ابنة أختها القاصر، المتورّطة بدورها في كلّ هذه الاحتيالات. يتّضح مدى خطورة وضع الاثنتين، عندما يوقفهما ضابط في إدارة الهجرة والجمارك في موقف سيارات: «ما وضعكما في الهجرة؟»، يسأل ضابط الشرطة الأبيض المرأتين، ويتعيّن عليهما تبرير سبب خروجهما في الأماكن العامة.

«رقصة فاخرة»: قصة غير مبهرة لكنّها قوية (الملف الصحافي)

أقوالهم

رغم أنّ **تيلدا سوينتن** (Getty) ممثّلة جيدة جداً، لكنّ فيها شيئاً أو أكثر يجعلها منفِّرة وغير محبوبة ولا تتمتّع بأي جاذبية للجمهور. هذا يؤكّد أنّ الحكم على الممثل تحديداً لا يخضع فقط لمعايير موضوعية، فهناك عامل خاص يتعلّق بالقابلية الشخصية. إذا غاب هذا البعد، يظلّ حضور الممثل في أذهان الجمهور محدوداً جداً، مهما بذل من جهدٍ وأجاد.

أمير العمري

لم تفكّر **لينا سويلم** (فرانس برس) في أنّ «باي باي طبريا» (فيلمها الوثائقي الأخير) ليس قصة فلسطين فقط أو بلد معين، عندما تحكي عن قصة شخصية وتجمع مع الحكي مشاريع تلك الشخصية وأحاسيسها، وتحكي عن العائلة ومعنى أنْ تصبح صاحبة الشخصية أمّاً أو ابنة، وجودها بمحيط فيه هجرة أو صعوبة.

أحمد العياد

أفعالهم

«شكراً لأنك تحلم معنا» لـ **ليلى عباس** (فيسبوك): حكاية شقيقتين فلسطينيتين: مريم، ربّة بيت وأمّ تعاني مشكلات مع زوجها الذي لا يهتمّ بولَدَيه، خاصة الابن المراهق، فتقرّر الطلاق؛ ونورا، خبيرة تجميل تعيش مع والدها المريض، وتهتمّ به. هناك أيضاً شقيقهما المهاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية، الذي لا يسأل عنهما، ولا يزور أباه المريض أبداً.

Le Royaume لجوليان كولونا، تمثيل **يوفانا بينيديتي** (Getty): تمضي المُراهِقة ليسيا صيفها الأول في كورسيكا عام 1995. في يوم، تلتقي والدها، المختبئ في فيلا معزولة، مُحاطاً برجاله. تندلع حرب عصابات، ويضيق الخناق على العشيرة، ثم تبدأ مطاردةٌ يتعلّم فيها الأب وابنته أنْ يفهم وأنْ يُحبّ أحدهما الآخر.

أخبار

◆ ارتداء الممثلة المصرية سلوى علي شالاً فلسطينياً، في ختام الدورة السابعة (24 أكتوبر/تشرين الأول ـ 1 نوفمبر/تشرين الثاني 2024) لـ«مهرجان الجونة السينمائي»، تأكيدٌ التزام أخلاقي وبشريّ وثقافي بهمّ عامّ، تبدو علي متمسّكة به، لكنّ ظهورها فيه غير مُثير لأكثر من تعليقات فيسبوكية لمعارفها، وبعضهم يُهنّئها على خطوة، لم يفعل أيّ من الضيوف، تحديداً المصريين والمصريات، مثلها، علماً أنّ إدارة المهرجان نظّمت برنامجاً بعنوان «نافذة على فلسطين»، في نسخةٍ ثانية.

◆ في دورتها السابعة نفسها، استحدث المهرجان جائزة جديدة أسماها «ما وراء الكاميرا»، تتضمن فئتين: «ما وراء الكاميرا للإنجاز الإبداعي»، وترشيحات العام لـ«ما وراء الكاميرا»، تُمنح الأولى للسينمائيين العاملين وراء الكاميرا، «الذين قدّموا مساهمات كبيرة ودائمة في صناعة الأفلام»، ولهم «أدوارٌ حاسمة في نجاح مشاريع عدّة» في مهنهم. وهذه نالتها مُصمّمة الأزياء المصرية ناهد نصر الله. أمّا الثانية، فتكريمٌ لاثنين أو ثلاثة سينمائيين عن عملهم وراء الكاميرا أيضاً، تقديراً للأفلام الحديثة التي «أظهرت ابتكاراً وإبداعاً وخبرة فنية، ما ساهم بشكل كبير في الجودة الفنية ونجاح المشاريع السينمائية»، المنجزة بين دورتي المهرجان، السابقة والحالية. وهذه نالها المصريان (أيضاً) مدير التصوير عبد السلام موسى والموسيقيّ أحمد الصاوي.

◆ قبل أيام، كشفت الممثلة المصرية لبلبة ما اعتبره متابعون ومتابعات أنّه «أسرار» عدّة عن حياتها الشخصية والمهنية، كمعاناتها مع التلقائية الزائدة، وتجربة الحبّ من طرف واحد، وعن أدوار سينمائية قدّمتها ولا تشبهها أو تعبّر عنها: «رأيتُ الناس منذ طفولتي، وتعلّمت أنّ هدفي في الحياة إسعادهم. والدتي كانت تقول لي لا بُدّ أنّ تتأكّدي من أنّ الموجودين في الصفوف الأولى والأخيرة سعداء بما تُقدمينه على المسرح»، مضيفةً أنّها لم تخشَ مواجهة الجمهور أبداً، وترى أنّ تصفيقه لها ومقابلتها إياهم ومحبتهم «من أجمل ما في حياتي»، لافتة الانتباه إلى أنّ أول صعود لها على خشبة المسرح كانت تبلغ ستة أعوام، وعندما ذكروا اسمها صفّق الجمهور بحرارة، «ما جعلها تشعر بالخوف».